تسديد التبليغ في المجال الديني بالواقع الإفريقي:

من التأصيل المرجعي إلى التنزيل المجتمعي

ذ. عبد السلام الأزعر

مدير معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات بالرباط- المملكة المغربية

يعد التبليغ في المجال الديني من أسمى المهام التي اضطلعت بها النبوّة، وتوارثها العلماء الربانيّون جيلًا بعد جيل، لما لها من دور محوري في ترشيد الوعي الديني، وبناء الإنسان، وترسيخ القيم العليا كالعدل والرحمة والحكمة والتسامح والتعايش والإصلاح داخل المجتمعات.

غير أن فعالية التبليغ وثمرته تظلّ رهينة بمدى "تسديده"، أي بقدر ما يُقوّم ويُرشّد وفق مقاصده الشرعية وسياقاته الثقافية والاجتماعية واحتياجات الناس وتحوّلاتهم. ويزداد هذا التحدي إلحاحا في السياق الإفريقي، بالنظر إلى ما تتّسم به القارة من تنوع ثقافي وديني واسع، وما تواجهه من تحديات تنموية وروحية واجتماعية متشابكة.

وفي هذا الإطار، تكتسب مسألة "تسديد التبليغ في المجال الديني" بإفريقيا بعدا استراتيجيا، بوصفها مدخلا لإعادة بناء العلاقة بين الدين والإنسان والتنمية، انطلاقا من مرجعيات دينية أصيلة ومجربة، تعبر عن توازن حكيم بين الثوابت والمتغيّرات، وبين المبادئ والواقع.

وانطلاقا من هذه الرؤية، يروم هذا البحث استكشاف سبل تسديد التبليغ في المجال الديني المؤطر بالمرجعيات الدينية الأصيلة، بما يسهم في خدمة الإنسان الإفريقي، والارتقاء بأوضاعه الروحية والاجتماعية.

ولمعالجة هذه الإشكالية، سيتم تناول الموضوع من خلال المحاور الآتية:

1. مدخل مفاهيمي ومنهجي

2. العقائد والتيارات الوافدة إلى إفريقيا: التحديات ومرتكزات الوقاية منها

3. المرجعيات الدينية المؤطرة لتسديد التبليغ في المجال الديني

4. مرتكزات تفعيل المرجعيات الدينية في الواقع الإفريقي

5. مقومات وضوابط التبليغ في المجال الديني

خاتمة

المحور الأول: مدخل مفاهيمي ومنهجي

في سياق البحث في موضوع: «تسديد التبليغ في المجال الديني بالواقع الإفريقي: من التأصيل المرجعي إلى التنزيل المجتمعي»، تبرز الحاجة المنهجية إلى توضيح المفاهيم الأساسية التي يبنى عليها هذا الطرح، وذلك لما يكتنفها من تباين في الفهم وتداخل في الاستعمال بين الحقول الدينية والتربوية والاجتماعية.

يعد مصطلح "التبليغ في المجال الديني" من المفاهيم المركزية التي تشير إلى منظومة من العمليات والممارسات التواصلية، الرامية إلى إيصال المعارف والمضامين والقيم الدينية إلى الأفراد والجماعات، داخل أطر مؤسسية أو فردية، وبوسائل تقليدية أو رقمية حديثة، وذلك في ضوء فهم مقاصدي ومنهجي للنصوص الشرعية، مع استحضار الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمخاطَبين.

ولا يقتصر هذا التبليغ على مجرد نقل المعارف أو إلقاء المواعظ، بل يجسد وظيفة رسالية شاملة، تتقاطع فيها أبعاد التأطير التربوي والتكوين العلمي والإرشاد الاجتماعي والتوجيه القيمي.

أما مصطلح "التسديد" فيدل في اللغة على التقويم والإصابة والتوفيق، ويراد به اصطلاحًا: إحكام الخطاب الديني في مضمونه ومنهجه ووسائله، بما يضمن تحقيق أعلى درجات الفاعلية والتأثير. وينبني هذا المعنى على الهدي النبوي، كما في الحديث الذي رواه البخاري: «سدِّدوا وقاربوا...»، أي الزموا الصواب، واعملوا بالأكمل أو بما يقرب منه؛ وهو توجيه نبوي يرسم معالم البلاغ الراشد، القائم على الاعتدال والواقعية والرفق.

وتكتسي الخصوصية الإفريقية أهمية بالغة في هذا السياق، باعتبارها فضاء دينيا وثقافيا مركبا ومتعدد المكونات، تتداخل فيه الأديان السماوية مع المعتقدات المحلية، وتبرز فيه تنوعات مذهبية وصوفية ضاربة في الجذور. وتمتلك المجتمعات الإفريقية رصيدا روحيا وثقافيا أصيلا، يؤهلها لتلقي خطاب ديني متوازن ومنفتح. غير أن هذا التنوع، إذا لم يوجه توجيها رشيدا، ولم يضبط بضوابط شرعية وعلمية محكمة، فقد يتحول إلى عامل تفرق وتنازع مذهبي، أو إلى أداة لتوظيف الدين في الصراعات السياسية والهوياتية.

المحور الثاني: العقائد والتيارات الوافدة إلى إفريقيا: التحديات ومرتكزات الوقاية منها.

شهدت المجتمعات الإفريقية، في العقود الأخيرة، تحوّلات دينية متسارعة نتيجة الانفتاح الإعلامي، وتكثيف الدعوة العابرة للحدود، وتأثيرات خارجية متعدّدة. وقد أسهم هذا الواقع في تسرب عقائد وتيارات وافدة لا تنسجم مع المرجعيات الدينية الأصيلة المتجذّرة في السياق الإفريقي. ورغم اختلاف هذه العقائد والتيارات في منطلقاتها وأهدافها، فإنها تتقاطع في تهديدها للأمن الروحي والاجتماعي، وزعزعة بنيات التدين المحلي، وإثارة النزاعات المذهبية التي تضر بالسلم المجتمعي والهوية الدينية المشتركة.

وفيما يأتي عرض لأهم العقائد والتيارات الوافدة، وآثارها السلبية في الواقع الإفريقي، والمرتكزات الوقائية منها.

أولًا: أبرز العقائد والتيارات الوافدة إلى إفريقيا

1. السلفية المتشددة (تمييزًا عن "سلفية الأمة")

- ظهرت في إفريقيا منذ ثمانينيات القرن الماضي، مستغلة ضعف التأطير الديني المحلي، ورافضة للطرق الصوفية السنية.

- تُنكر المرجعيات العقدية والمذهبية التقليدية، وعلى رأسها العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي.

- تعتمد فهمًا حرفيًّا جامدًا للنصوص، وتدعو إلى "النقاء العقدي" في تعارض مع روح التسامح الإفريقية.

- تُروّج لخطاب إقصائي يُضعف أسس العيش المشترك، ويفكّك الوحدة الدينية التاريخية.

2. العقائد الباطنية الوافدة (كالبهائية والقاديانية "الأحمدية")

• تُخالف أصول الإسلام العقدية، وتقدَّم تحت شعارات "الإصلاح" و"الحداثة الإسلامية".

• تستهدف فئات من الشباب والنخب، مستعملة خطابًا مموّهًا يروّج للتنوير الزائف.

• تُحدث خللًا في البنية العقدية، وتُضعف المناعة الثقافية والدينية.

3. التشيّع الإمامي الاثنا عشري

- تسرّب إلى إفريقيا عبر قنوات إعلامية ومؤسسات ممولة خارجيًّا.

- يسعى إلى التأثير على المرجعية السنية التقليدية، خصوصًا في غرب إفريقيا.

- خلّف توترات مذهبية وصراعات هوياتية تهدد الانسجام المجتمعي.

4. التيارات التكفيرية الجهادية

• تضم تنظيمات متطرفة مثل "القاعدة" و"بوكو حرام" و"داعش".

• تعتمد تأويلات مغالية تكفّر الحكومات والمجتمعات وتُحرّض على العنف المسلح.

5.القرآنيون

- يدّعون أن القرآن الكريم وحده كافٍ لفهم الدين وتطبيق أحكامه، ويُنكرون حجّية السنة النبوية باعتبارها مصدرًا مستقلاً للتشريع.

- يرفضون كتب الحديث الصحيحة، بدعوى احتمال الوضع أو التحريف، ويُخضعون النصوص لتأويلات عقلانية حديثة غالبًا ما تخرج عن المنهج التفسيري الموروث.

- يقتصر حضورهم في إفريقيا على بعض الأفراد أو النخب المتأثرة بخطابات "الإصلاح" أو "التنوير"، دون أن يتحولوا إلى تيار جماهيري منظم.

ويُعزى ذلك إلى رسوخ المرجعية الدينية التقليدية، وتماسك المنظومة العقدية والفقهية والصوفية داخل المجتمعات الإفريقية.

ثانيًا: أبرز الآثار السلبية للعقائد والتيارات الدخيلة

أدّت هذه التيارات إلى خلخلة المنظومة الدينية والاجتماعية في المجتمعات الإفريقية، ويمكن تلخيص أبرز آثارها فيما يلي:

1. تفكيك الوحدة العقدية والمذهبية

أضعفت المرجعيات الأشعرية والمالكية والتصوف السني، وأفرزت تشتتًا دينيًّا

وتشويشًا في الوعي العقدي.

2. إضعاف مكانة العلماء وشيوخ الزوايا

استهدفت المرجعية الروحية والعلمية التقليدية، ما أفقد المجتمعات ركائزها في التأطير والتربية الدينية.

3. إشعال الصراعات والعنف الطائفي

غذّت بؤر النزاع بخطابات تكفيرية وإقصائية، وأسهمت في توظيف الدين لأغراض الصراع المسلح.

4. استغلال الشباب

استقطبت فئات واسعة من الشباب عبر مشاريع تبشيرية أو متطرفة، مما زاد من الهشاشة المجتمعية والعنف والتغريب.

5. تشويه صورة الإسلام

أُقحمت هذه التيارات في أعمال العنف والانغلاق، مما أساء إلى صورة الإسلام الوسطي، وطمس خصوصية النموذج الإفريقي المتسامح.

6. عرقلة جهود الإصلاح والتعايش

أعاقت مساعي تجديد الخطاب الديني وبناء ثقافة الانفتاح، بفعل خطاب يقوم على الإقصاء والهيمنة العقدية.

ثالثاً: نماذج واقعية من الآثار السلبية للعقائد والتيارات الوافدة

تكشف الوقائع الميدانية في عدد من الدول الإفريقية عن حجم الأثر السلبي للعقائد والتيارات الوافدة على الاستقرار العقدي والاجتماعي، ومن أبرزها:

- ظهور جماعات متشددة منبثقة عن السلفية التكفيرية، تبنت العنف المسلح واستهدفت مؤسسات الدولة والمدارس والمعالم الدينية، مما أدّى إلى سقوط آلاف الضحايا وتهجير السكان، وتعطيل أدوار التأطير الديني والتربوي.

- اتساع رقعة الجماعات المسلحة ذات الخلفيات الإيديولوجية المتطرفة، التي قوضت سلطة العلماء وشيوخ الزوايا، وأضعفت حضور التصوف السني المعتدل، مما فسح المجال للفوضى العقدية والانحراف عن المرجعية الإسلامية الأصيلة.

- انتشار بعض المذاهب الدخيلة على البيئة الدينية الإفريقية، مستغلة هشاشة الأوضاع الاقتصادية، ومستخدمة وسائل الإغراء المادي والمنح التعليمية لاستقطاب الشباب، الأمر الذي خلف توترات مذهبية ومظاهر انقسام داخل المجتمعات.

- نشاط فرق باطنية ذات عقائد مخالفة لأصول الإسلام، تستهدف النخب المثقفة بخطاب تبشيري مموه، يسعى إلى زعزعة المرجعية السنية السائدة، ما يؤدي إلى إرباك التصور الديني وتهديد التماسك العقدي داخل المجتمع.

رابعا: مرتكزات الوقاية من العقائد والتيارات الوافدة

أمام التحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات الإفريقية في المجال الديني، تبرز الحاجة الملحة إلى تسديد مسار التبليغ الديني ضمن إطار استراتيجية شمولية وفعالة، تتكامل فيها الأبعاد العقدية والتربوية والاجتماعية والسياسية، وترتكز على أسس وقائية راسخة، ذات طابع علمي وتجريبي، يراعي خصوصيات الواقع الإفريقي وتحولاته.

وفيما يأتي أبرز هذه المرتكزات:

1. ترسيخ العقيدة الأشعرية بوصفها عقيدة أهل السنة والجماعة، والعمل على تحصين الوعي الجماعي من التيارات الهدامة والانزلاقات الفكرية.

2. توحيد المرجعية الفقهية على أساس المذهب السني المعتمد في كل بلد، مع

تفعيل دور المؤسسات الدينية في التأطير الشرعي والتوجيه المجتمعي.

3. دعم التصوف السني المعتدل بما يعزّز القيم الروحية والسلوكية، ويسهم في ترسيخ الأخلاق وبناء التوازن النفسي داخل الفرد والمجتمع.

4. تأهيل الفاعلين الدينين من خلال برامج تكوينية علمية وميدانية تجمع بين عمق المرجعية والانفتاح الواعي على مستجدات الواقع.

5. تعزيز التعاون بين الدول ذات المرجعيات المشتركة عبر تبادل الخبرات وتنسيق جهود التكوين والتأطير، وتفعيل العمل المؤسساتي العابر للحدود.

6. بناء استراتيجية إعلامية رقمية فعّالة تعنى بتحصين الخطاب الديني وتفنيد الروايات المتطرفة، عبر أدوات تواصلية مؤثرة، تخاطب مختلف الفئات، وخاصة فئة الشباب..

المحور الثالث: المرجعيات الدينية المؤطِّرة لتسديد التبليغ في المجال الديني

يستند تسديد التبليغ في المجال الديني بالقارة الإفريقية إلى مرجعيات دينية متكاملة تؤمن التوازن العقدي والفقهي والسلوكي، وتشكل أساسا لبناء وعي ديني رصين، يواجه التحديات الفكرية ويعزز السلم الروحي والاجتماعي.

أولًا: المرجعية العقدية – العقيدة الأشعرية

تمثل العقيدة الأشعرية ركيزة أساسية لهوية المجتمعات الإفريقية السنية، حيث تجمع بين النص والعقل، وتؤسس لإيمان متزن قائم على التنزيه بلا تشبيه. وتتميّز بمنهج وسطي يرسّخ السكينة النفسية، ويحصن من الغلو والانغلاق، مما يجعلها أساساً في بناء الإيمان السليم والتصور الصحيح.

وقد شكلت مرجعا رئيسا في مسيرة التبليغ والتعليم بإفريقيا، وأسهمت في تثبيت السلم العقدي ومواجهة التيارات المتطرفة.

ثانيًا: المرجعية الفقهية – المذاهب السنية

يعد الفقه السني، وخصوصا المذهب المالكي، إطارا مرجعيا ومنظما للحياة الدينية والاجتماعية في إفريقيا. وتتميز هذه المذاهب بمرونتها المنهجية واجتهادها المقاصدي، مما يُمكّنها من مواكبة التحولات الواقعية المتسارعة.

وتضطلع المرجعية الفقهية بأدوار متعددة تشمل التأصيل والتقنين والتربية والتوحيد، بما يعزز الأمن الروحي ويحصن المجتمعات من الانقسام المذهبي. أما غياب هذه المرجعية أو تشتتها داخل البلد الواحد، فإنه يفضي إلى فوضى فقهية تستغلها الجماعات المتطرفة لترويج أفكارها وزعزعة الاستقرار الديني والاجتماعي.

ثالثًا: المرجعية السلوكية – التصوف السني

يمثل التصوف التربوي بعدا محوريا في التبليغ، يعنى بتزكية النفس وتهذيب السلوك، ويقدم نموذجا روحيا متوازنا في العلاقة مع الله ومع الناس.

وقد لعب التصوف دورا فعالا في نشر الإسلام وبناء المدارس القرآنية، وأسهم في بث خطاب ديني رحيم، ومكافحة مظاهر التشدد والغلو.

رابعًا: إمارة المؤمنين مرجعية دينية جامعة

يجسد نموذج إمارة المؤمنين بالمغرب مرجعية موحدة تؤطر الشأن الديني، وتضبط المرجعيات العقدية والفقهية والسلوكية، من خلال مؤسسات علمية وتأطيرية فاعلة، وتدعم القضايا الدينية الإفريقية، خاصة عبر مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات.

المحور الرابع: مرتكزات تفعيل المرجعيات الدينية في الواقع الإفريقي

يعد تفعيل المرجعيات الدينية الأصيلة في السياق الإفريقي تحولا نوعيا من التنظير إلى التنزيل، يتمثل في ترجمة المفاهيم العقدية والفقهية والسلوكية

إلى ممارسات واقعية تخاطب الإنسان الإفريقي في عمق خصوصياته الثقافية والاجتماعية بحكمة في التفعيل وعمق في التكوين وتدرّج في التنزيل، استنادًا إلى مرتكزات أساسية من أبرزها:

أولًا: الاستلهام من النموذج النبوي في التبليغ

يشكل المنهج النبوي في التبليغ المرجعية المركزية لتسديد التبليغ في المجال الديني، لما يتميز به من خصائص نوعية، من أبرزها:

• تكامل الوظائف: إذ جمع النبي ﷺ بين التبليغ والتعليم والتربية والقدوة والرعاية الاجتماعية، في نسق متوازن ومتكامل.

• مراعاة المراحل والمقامات: حيث خاطب النبي ﷺ الناس على قدر عقولهم وظروفهم، بما يناسب استعدادهم للتلقي والتزكية.

• التدرج في الإصلاح: فقد نزلت الأحكام الشرعية تدرجيًّا، مراعاة لتحولات المجتمع ومتطلبات الانتقال السلس من الجاهلية إلى الإسلام.

• الحكمة في التفاعل مع الآخر: كما ظهر جليًّا في تعامله ﷺ مع وفود إفريقيا ونصارى نجران، حيث قدّم نموذجًا راقيًا في الحوار والاحتواء والرحمة.

• البيان العملي من خلال السلوك والقدوة: فقد تجسد التبليغ في أخلاقه ﷺ وتعاملاته، فكان خُلُقه القرآن، وبهذا أصبح النموذج الحي للرسالة التي يبلّغها.

ثانيًا: إعداد الفاعلين الدينيين

تفعيل المرجعيات يتطلب تكوينًا علميًّا وتربويًّا شاملًا للعلماء وسائر الفاعلين الدينيين، يمكّنهم من:

• فهم المرجعيات الثلاث (العقدية، الفقهية، السلوكية).

• الإلمام بالسياقات الإفريقية وتنوعاتها.

• اكتساب مهارات التواصل والحوار بين الأديان والثقافات.

ثالثًا: التبليغ بالفعل لا بالقول

الدين يُعاش ولا يُقال فقط، وتجسيد المبادئ الإسلامية على أرض الواقع يحدث الأثر الأعمق، من خلال:

• القدوة العملية: المبادرات الاجتماعية والتربوية تعزز مصداقية الخطاب.

• تحويل المعرفة إلى خبرة: التبليغ حين يرى يفهم ويقتدى به.

• الممارسة تؤسس للثقة: السلوك النزيه يبني عليه الإصلاح.

• العمل المشترك يفعّل القيم: عبر برامج مجتمعية ترسخ التضامن والاعتدال.

رابعًا: مقاربات تربوية وتواصلية تراعي الواقع الإفريقي

نجاح التبليغ يرتبط بمدى انفتاحه على الخصوصيات الثقافية، وذلك عبر:

• استخدام اللغات المحلية في التبليغ.

• احترام الأعراف غير المخالفة للشرع.

• توظيف الوسائط الرقمية للوصول إلى الأجيال الجديدة.

• تبني خطاب حواري تربوي قائم على الإنصات والتفهم.

خامسا: نماذج مؤسسية ناجحة في تفعيل المرجعيات الدينية

- **مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة**

- تضمّ نخبة من علماء 48 دولة إفريقية، بهدف تعزيز التعاون والتكامل العلمي والديني بين دول القارة.

- تسهم في توحيد المرجعيات الدينية وتنزيلها على أرض الواقع، ومواجهة الغلو والتطرف عبر خطاب معتدل ومؤصل.

- تنظّم ندوات علمية ودورات تكوينية ومبادرات ميدانية، تعكس روح الإسلام السمحة وقيمه الأصيلة.

- **معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات**

• يوفر تكوينا علميا وروحيا ومهنيا متكاملا، استفاد منه إلى اليوم نحو عشرة آلاف إمام مرشد ومرشدة، من أربع عشرة دولة إفريقية ودولة أوربية ودولتين آسيويتين.

• يؤهل كفاءات دينية متخصصة للقيام بمهام التبليغ والتأطير والتوجيه، وتنزيل المرجعيات الدينية بكفاءة ومهنية، بما يستجيب لخصوصيات الواقع الإفريقي وتحولاته الثقافية والاجتماعية.

• يعتمد منهجًا تكوينيًّا منفتحًا يجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية، مع التركيز على تنمية المهارات القيادية والتواصلية اللازمة لممارسة التبليغ في المجال الديني بشكل فعّال ومؤثر.

المحور الخامس: مقوّمات وضوابط التبليغ في المجال الديني

يعد التبليغ في المجال الديني من الأدوار المركزية في بناء الوعي الديني الرشيد لدى

الإنسان الإفريقي، بما ينسجم مع خصوصياته الثقافية والاجتماعية، ويستجيب لحاجاته الروحية والتربوية والتنموية. وحتى يكون هذا التبليغ مسددا وفعالا، لا بد من استحضار جملة من المقومات التربوية والمنهجية، وتوفير الوسائل المؤسسية المناسبة، إلى جانب الالتزام بجملة من الضوابط الشرعية والسياقية التي تؤطر عمل الفاعلين وتضمن أثر التبليغ وفاعليته:

أولًا: أبرز مقوّمات التبليغ في المجال الديني

1. التبليغ المندمج: الدين في خدمة الحياة والتنمية

يشكل التبليغ المندمج مدخلًا استراتيجيًّا لإعادة ربط الدين بقضايا الحياة اليومية والتنمية الشاملة، متجاوزًا النمط الوعظي التقليدي نحو حضور فاعل في مجالات التعليم والصحة والتكافل والتنمية المستدامة. ويسهم هذا النمط في تعزيز الثقة بين المجتمعات الإفريقية والخطاب الديني، خاصة في المناطق الهشة التي تحتاج إلى خطاب يلامس واقعها، ويسهم في تنمية الإنسان روحا وسلوكا ومعاشا.

2. استحضار مقاصد الشريعة: من الوعظ إلى الإصلاح

إنّ توجيه التبليغ نحو تحقيق المقاصد الكلية للشريعة يمكن من تجاوز الاكتفاء بنقل النصوص إلى تفعيل الدين كقوة إصلاحية بنّاءة، تسهم في ترشيد المجتمع ومواكبة تحوّلاته. وبهذا يتحول الوعظ من خطاب منفصل عن الواقع إلى مشروع تجديدي ينخرط في قضايا الإنسان، ويعكس حكمة الشريعة في معالجة الإشكالات وبناء الوعي الأخلاقي والسلوكي.

3. التبليغ برفق ورحمة

ينبغي أن يستلهم التبليغ في المجال الديني الهدي النبوي القائم على الرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، مما يستوجب تجاوز خطابات الإقصاء والتكفير والتبديع، واعتماد خطاب تواصلي يقوم على

الرحمة والتسامح والتفاهم، ويراعي التنوّع الثقافي والديني والاجتماعي للمجتمعات الإفريقية، ويحرص على توطيد الوحدة والتآلف بدل الفرقة والانقسام.

4. مأسسة التبليغ وتحديث أدواته

لا يمكن للتبليغ في المجال الديني أن يحقق مقاصده المرجوة في ظل العشوائية والفردانية، بل لا بد من تأطيره ضمن مؤسسات علمية وتربوية متخصصة، تعتمد مناهج واضحة في التخطيط والتكوين والتقويم، وتُوظّف الوسائط الرقمية الحديثة، مع إنتاج محتوى تفاعلي بلُغات وطنية ومحلية، يسهم في توسيع دائرة الاستفادة، لاسيما في صفوف الشباب.

ثانيًا: أبرز ضوابط التبليغ في المجال الديني

لكي يكون التبليغ في المجال الديني مسددا وراشدا في السياق الإفريقي، لا بد من احترام مجموعة من الضوابط المنهجية والشرعية والسياقية، أبرزها:

1. الانضباط بالمرجعية الدينية الأصيلة بما يضمن الاتساق مع الهوية الدينية الجامعة ويحول دون التطرف أو الانزلاق المذهبي.

2. **التحري العلمي والدقة في النقل:** وذلك بالاستناد على المصادر المعتمدة، والتحقق من المضامين قبل تبليغها، وتجنّب الإفتاء أو الوعظ فيما لا يحسنه الفاعل.

3. **الوعي بالسياق الثقافي والاجتماعي:** مما يفرض مراعاة خصوصيات المتلقين، وتجنب فرض نماذج جاهزة أو خطاب متعال عن واقع الناس.

4. **الابتعاد عن التوظيف السياسي أو الأيديولوجي:** للحفاظ على استقلالية الخطاب الديني، وخدمته للصالح العام بعيدًا عن الاصطفافات أو النزاعات.

5. الاعتدال في الخطاب والأسلوب: بتجنب الغلو أو التفريط، وتحقيق التوازن بين التحذير والبشارة، بين الثوابت والاجتهاد، بين الدعوة والإصلاح.

الخاتمة

يتبين من المحاور السابقة أن تسديد التبليغ في المجال الديني يتطلب رؤية شمولية تجمع بين أصالة المرجعية ونجاعة التنزيل، مع استحضار التحولات الاجتماعية والتقنية والثقافية التي تعرفها القارة الإفريقية. وبناء على ذلك، يمكن إبراز أهم المرتكزات على النحو الآتي:

أولًا: خلاصات

• ضرورة تأسيس الخطاب الديني على ثوابت علمية جامعة، تتمثل في العقيدة الأشعرية، والمذاهب الفقهية السنية، والتصوف السني، في إطار مؤسسي تتولّى تأطيره إمارة المؤمنين باعتبارها المرجعية الدينية العليا.

• اعتماد مقاربة مقاصدية تجعل من الخطاب الديني أداة إصلاحية فاعلة، تسهم في نقله من دائرة التنظير والتلقين إلى فضاء التجديد والتغيير المجتمعي.

• الانفتاح الواعي والمسؤول على الخصوصيات الثقافية واللسانية والتربوية للمجتمعات الإفريقية، مع تطوير آليات تواصلية مرنة تستجيب لهذا التنوع وتخاطب الإنسان الإفريقي في واقعه.

• تجاوز خطابات الإقصاء والصدام، وبناء خطاب ديني جامع يعزز المشترك الإنساني، ويكرس ثقافة العيش المشترك، والتعاون على قيم الخير والكرامة والاحترام المتبادل.

ثانيا : توصيات

- تعزيز التكوين المستمر للعلماء والفاعلين الدينيين، من خلال منهجية متوازنة

تمزج بين التأصيل العلمي والاجتهاد المنضبط، مع مواكبة متطلبات السياق الإفريقي المعاصر.

- تمكين المؤسسات الدينية من الوسائل الرقمية والمعرفية الحديثة التي تتيح تبليغًا فعّالًا، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية واللغوية والاجتماعية لكل بلد إفريقي.

- تفعيل شراكات استراتيجية بين المغرب والدول الإفريقية في مجال التبليغ والتأطير الديني، بما يسهم في خدمة قضايا التنمية المستدامة، خصوصًا في مجالات التعليم والصحة والبيئة.

- إشراك المرأة والشباب في دينامية التبليغ والتأطير الديني، بما يعزّز مقاربة تشاركية شاملة تُحقّق الإدماج والاستدامة.

- تعزيز حضور المرجعيات الدينية الموحّدة في الفضاء العام، باعتبارها ضمانة لمواجهة تيارات التطرف والانقسام، وترسيخ الأمن الروحي والاجتماعي داخل المجتمعات الإفريقية.

ثالثا: اقتراحات

• توسيع الاتفاقيات العلمية والتكوينية بين المغرب والدول الإفريقية لتعزيز التعاون في مجال التبليغ والتكوين.

• تحديث مناهج التكوين لتشمل محاور جديدة مثل التبليغ الرقمي، والحوار بين الأديان، والقيادة الروحية، والتنمية المجتمعية.

• توطين النموذج المغربي في الحقل الديني عبر صيغ مرنة تحترم خصوصيات البلدان الإفريقية، وتُفعّل المرجعيات المشتركة.

• تشجيع البحث العلمي في قضايا التبليغ، واقتراح آليات مؤسسية دائمة للتقويم

والتطوير والتأهيل.

وفي ضوء ما تقدّم، يتبيّن أنّ مفهوم "تسديد التبليغ في المجال الديني" يشكّل مدخلًا إصلاحيًّا شموليًّا، يزاوج بين المرجعية الدينية الأصيلة والتنزيل الواقعي المتدرّج، ويسعى إلى تجاوز التحديات الروحية والاجتماعية التي تعترض المجتمعات الإفريقية. ومن خلال استلهام المنهج النبوي في التبليغ والتأطير والتزكية والتجديد، يمكن إعادة بناء الخطاب الديني على أسس رصينة، تُؤمّن الأمن الروحي، وتعزّز الانتماء الحضاري، وتُفعّل المرجعيات في خدمة الإنسان والمجتمع. وعندما يُسدَّد التبليغ في المجال الديني، يتجاوز كونه مجرّد أداء وظيفي، ليغدو مشروعًا حضاريًّا متكاملًا، مرتكزًا على القيم، منفتحًا على العصر، مسهمًا في ترشيد الوعي وتحقيق تنمية متوازنة تُوفّق بين الثوابت والمتغيّرات.